الغواية بالمكان في السرد الحضرمي
روايتا فتاة قاروت، والنوافذ الصفراء أنموذجًا

Seduction of Place in Hadhrami Narrative "The Girl of Garut and The Yellow Windows" as a Modal: Analytical Study

د. علي حسن علوي العيدروس [1]

(1)الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية

كلية التربية جامعة سيئون – حضرموت

الجوال / 777899579

aaidarous@seiyunu.edu.ye

ملخص البحث

تتركز مشكلة البحث في معرفة مدى الغواية بالمكان المهجري، والمكان المحلي، وما ينتج عنه من دلالات، وانزياحات، ومفارقات، وتناصات على مستوى العنوان والسارد، والشخوص وتناسل الأمكنة بوصفها تقنيات سردية تتشكل من خلالها مستويات هذه الغواية ليحقق البحث من خلال مقاربته النقدية أهدافًا مثل: علاقة التاريخ بالمكان، ومدى تأثيره على مستوى الغواية، وعلاقة الثقافة المهجرية، ومدى تأثيرها على مستوى الغواية، والكشف عن الدلالات الرمزية في محمولات الأسماء في الروايتين. ولتحقيق هذه الأهداف سيشتغل البحث في مقاربته النقدية على المنهج الوصفي، والتحليلي، والدلالي. وسيفيد من المنهج البنيوي وفق ما تتطلبه القراءة للروايتين لكشف العلاقات الدلالية التي تنتجها الغواية بالمكان. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج أهمها: أنّ المدينة المحلية طاردة للحياة والحب والسلام، والمدينة المهجرية جاذبة للحياة والحب والسلام، والغواية بالمكان على الرغم مما يمرّ بها من انشراخات قد تصل إلى مستوى حاد من التناقضات. مع وجود مفارقات دلالية في محمولات أسماء الشخوص والأمكنة.

الكلمات المفتاحية: رواية، قاروت، النوافذ، الغواية، المهجري.

ABSTRACT

This research aims at understanding the effect of "seduction" in the immigrant place, the local place, and the resulting of connotations, displacements, paradoxes, and intertextuality on the level of title and narrator, individuals and spawning of places as narrative techniques. Thus the levels of seduction are formed as the research can achieve through its critical approach goals such as: the relationship between history and place and the extent of its influence on the level of seduction, the relationship of the immigrant culture and the extent of its influence on the level of seduction, and the disclosure of symbolic connotations of the names of individuals in the two novels. To achieve these goals, the researcher uses on his critical approach the descriptive and The structural semantic procedures. approach is also used as a requirement of reading the two novels to reveal the semantic relationships produced by seduction in place. The study has various findings and the most important results are the local city is an exorcist for life, love and peace, whereas the immigrant city is attractive for life, love and peace. Nevertheless the seduction in place passes through fissures, there is a severe level of contradictions including the presence of semantic paradoxes in the transferrable individuals' names and places.

Key words: Novel, Garut, windows, seduction, immigrant.

ISSN : 2410-1818

مقدمة :

المتتبع للرواية في حضرموت خاصة يجد من خلال عناوينها شغفا وغواية بالمكان، بمختلف محمولاته الدلالية فنجد مثلا الروايات :

فتاة قاروت – أحمد السقاف

المكلا - وإنّه البحر - صالح باعامر

هذيان المرافئ – سالم العبد

النوافذ الصفراء – سالم بن سليم

عقرون – طريق مولى مطر - عمار باطويل

العَنِيْن – خالد لحمدي

عناوين تشي صراحة بأنها روايات مكانية. وحتى التي لا يشي عنوانها بدلالات مكانية صريحة مثل سالمين عند با طويل، وقصة إرهابي، والرجل الحوت عند بن عبيد الله فإن مضامينها تتكئ على الأمكنة مثل: دوعن وجدة في سالمين، والعراق في قصة إرهابي، والبحر في الرجل الحوت. ولعل المكان عند الحضارمة بشكل عام له وقع خاص في ذاكرتهم الجمعية، ويتماهى معهم في علاقة ارتباط وثيقة مهما شاب هذا المكان من قسوة، وهذا يفسر لنا تمسك الحضارمة في مهاجرهم بحب المكان، والحنين إليه، وإحياء العديد من تقاليده. إنّها الغواية بالمكان غير أنها غواية أيضا بإنسان ذلك المكان، ولا تقتصر غواية الروائي الحضرمي على المكان المحلي فقط، بل حتى بالمكان المهجري على نحو ما هو عند سالم العبد للمكان الأوربي، وابن عبيد الله للمكان العراقي، وعند السقاف للمكان الأندونيسي. على أنّ المدينة الحضرمية حاضرة في مجمل هذه الروايات بوصفها مرجعية للإنسان عند انشراخات الأمكنة وتأثيرها عليه. ومن هنا جاء اهتمام الباحث بروايتي (النوافذ الصفراء) لاشتغالها على المدينة المحلية (شبام في حضرموت)، و(فتاة قاروت) لاشتغالها على المدينة المهجرية (قاروت في إندونيسيا)، واشتراكهما في تداعيات الغواية بالمكان على النص السردي برمته. وسيتركز البحث في قراءته هنا على كشف، وتحليل هذه الغواية بالمكان عبر العنوان بوصفه الأيقونة الصريحة للغواية بالمكان في النص الروائي، وعند السارد (الراوي) بوصفه الناقل لفكرة الكاتب، أو البديل الموازي له، وفي تناسل الأمكنة بوصفها محطات مكانية تأثرت بتداعيات الغواية بشكل متفاوت، وعند

ISSN : 2410-1818

الشخوص الرئيسية (الأبطال) بوصفهم متلقين داخليين يكونون عرضة للغواية وتتشكل بهم، مستخدما المنهج الوصفي والتحليلي والدلالي بشكل رئيس، والإفادة من باقي مناهج البنيوية بوصفها مناهج حديثة في قراءة النصوص السردية والتلقي المكتوب.

تمهيد

المعنى المعجمي للغواية هو الضلال أو الانحراف كما ورد في لسان العرب والقاموس المحيط (يُنظر: ابن منظور، 1994، ج15، ص140. والفيروز آبادي، 2005، ج1، ص1319. مادة: غوى). غير أنّ من اشتقاقات الجذر (غ و ي) نجد (انغوى) بمعنى انهوى ومال، والميل: هو انصهار المرء في هوى ذات، أو شيء ما، والتماهي معه، وينتج عنه التعلق والوله. والوله والتعلق هو مدخل من مداخل الغواية، وهي أي الغواية توظيف أرحب يكشف قدرة اللغة على تجاوز المألوف من الدلالات المعجمية (كاصد، 2003، ص30). بحيث يصبح أفق التوقع، أو الانتظار بحسب مفهوم ياوس تقنية " تجعل العمل الأدبي يسعى باستمرار إلى مخالفة المعايير التي نحملها "(بشرى صالح، 2001، ص40). وقد تطور الحقل الدلالي إلى فضاء من المغامرة وعدم اليقين المطلق. والغواية بنية فنية داخل بنية النص، وليس خارجها، والمتلقي داخل النص هو الذي يكون عرضة لها، فهي تتحكم في ردة فعل المسرود له، أو لهم داخل النص السردي، وبالنسبة للمتلقي خارج النص (القارئ) فهي تدفعه إلى ارتكاب جرأة التأويل، وكسر هيمنة المفاهيم السائدة في قراءة النصوص السردية، إذ يعد هذا القارئ " محوراً رئيسًا في المفاهيم النظرية والإجرائية في اتجاهات نقد استجابة القارئ... وتشكل فاعلية القراءة المهمة المركزية للنقد المتمحور حول القارئ " (المرجع السابق، ص40/41). وبالنسبة للناقد قراءة الإبداع من زوايا متجاوزة للقيم المألوفة في الحقول الدلالية السائدة أيضا.

أولا: الغواية عبر العنوان:

العنوان هو الأيقونة، أو العلامة المكانية الأولى في الروايتين، ولأن العنوان " قد يكون محوراً رئيسيًا؛ بل قد يكون أحيانا المفتاح الرئيسي للبنية الدلالية العامة للقصة كلها "(كاصد، 2003، ص15) كما هو الحال في الروايتين قيد الدراسة؛ فإن هذه العلامة العنوانية "ستحيل إلى مرجعيات يشتغل عليها الوعي حتى يعقلها أو يفهمها " (بشرى صالح، 2001، ص40).

يختار الروائي أحمد عبدالله السقاف عنوانا مكانيًا لروايته هو مدينة قاروت في المهجر الأندونيسي يحرك فيه سارد وشخوص روايته معلنا عبرهم دهشته بالمكان وثقافته تجاهه ليصبح

ISSN : 2410-1818

الثيمة المهينمة في الرواية "بحيث تمارس سلطتها على العناصر الأخرى المنتمية للنص" (المرجع السابق نفسه). ففي قاروت المكان يتولد الحب الطاهر الشريف بين (ايفة أو نيغ)، وعبدالله بطلي الرواية لتصبح المدينة المهجرية ولاّدة لعلاقة حب تنمو وتتعقد وسط انبهار بالمكان وسحر الطبيعة. فالعنوان هو إيقونة يعبر بها النص إلى المتلقي، ويفسح أمامه تأويلا دلاليا تلعب فيه إشارات المكان الجغرافية دوراً بارزاً في ترسيخ الغواية بالمكان بوصف العنوان "مرتكزًا تأويليًا عند الدخول للعمل "(الجزار، 2006، ص10). وقاروت هي مدينة في مقاطعة فريغان من جزيرة جاوا، وبإسناد الكاتب لفظ فتاة إلى لفظ قاروت المكان يشي بامتلاك المكان لما سيتم من أحداث لهذه الفتاة، وهو نوع من الغواية بالمكان يستدرج بها الكاتب المتلقي الداخلي ليشركه معه في غوايته؛ ليصبح العنوان بكل ما يملكه من محمولات مكانية مفتاحًا رئيسيًا للبنية الدلالية للقصة كلها على نحو ما سيتبين لنا في مسار البحث في الروايتين.

ومثله الروائي سالم بن سليم يختار لروايته عنوانًا مكانيًا هو مدينة شبام في حضرموت عبر إيقونتها (النوافذ الصفراء)، ووصف النوافذ بالصفراء هي دلالة في الميثولوجيا الشعبية في حضرموت على مدينة شبام التاريخية التي تسمى بالصفراء، فعبر هذه النوافذ يعبر الكاتب بسارد وشخوص روايته إلى غوايتهم بالمكان المحلي بدلالاته التاريخية من خلال التضافر بين التاريخ والسرد الذي لا يقدم التاريخ بشكل آلي، بل بشكل من التلازم بينهما (بن علي، 2000، 9/7) محاورا المدينة وتاريخها المتشظي باستخدام تقنية الاسترجاع الزمني في العناوين الفرعية ما بين الأعوام 1985 إلى ما بعد 2014 م عن طريق استخدام التحريف الزماني بوصفه طريقة لإيقاف التتالي الطبيعي للأحداث (المرجع السابق نفسه) وجمالية من جماليات الخطاب القصصي، بحيث يصبح هذا التشظي الزمني الناتج عن تكرار هذه الأعوام في الرواية، وتنوع أحداثها بشكل متشظي "يتجاوز كل إشارة يمكن أن تقود القارئ إلى التتابع، أو كل ما هو منطقي وواقعي " (مها القصراوي، 2004، ص111).

إنّ غواية الروائي بالمكان هنا لا تتماهى مع متلقيه داخل النص على نحو ما هو في رواية السقاف (فتاة قاروت)، بل يشكل له صدمة بين ما يجب أن تحظى به عظمة المكان التاريخي، وبين ما يحدث له من انشراخات، وتشظيات بسبب موروث فاسد من العلاقات الاجتماعية، والسياسية تكبل سكان المكان على الرغم من محمولاته التاريخية المضيئة. فاطمة وربيع بطلا الرواية تنمو علاقة الحب بينهما في هذه الرقعة المكانية بمحمولاتها الجغرافية والتاريخية، غير أنها تتحطم فوق

ISSN : 2410-1818

تراكمات من العلاقات الاجتماعية المسجون فيها سكان المكان. إنّ عنوان (النوافذ الصفراء) بوصفه أيقونة، أو علامة مكانية لشبام حضرموت يستدعي قراءة تعيد ترتيب قراءة النص للكشف عن الدلالات التاريخية داخله لتحقيق العلاقة بين النص والقارئ والناقد، انطلاقا من أنّ الأمم هي ذاتها سرديات مروية (بن علي، 2000، ص10/9) تكشف مدى الغواية التي تحققها الدوال في تركيب العنوان في الوعي الجمعي.

ثانيا: الغواية عبر التناسل المكاني:

يلجأ الروائي السقاف في (فتاة قاروت) إلى تقنية تناسل المكان لتأكيد غوايته، فعلى الرغم من أنّ قاروت هي منشأ علاقة الحب بين بطلي روايته ايفة وعبدالله، إلا أنّ سحر المكان المهجري بطبيعته الخلابة جعله يناسل الأمكنة ويحرك الأحداث فيها ليتمكن من جذب المتلقي الداخلي؛ ليتماهى معه في غوايته ويحول ما ينتابها من انشراخات، وتشظيات إلى محفز إيجابي يمد العلاقة بين نيغ وعبدالله بالاستمرارية والنجاح، ويحضر المكان المحلي في الرواية من خلال محمولات عاداته، وتقاليده راعيا لهذه العلاقة.

مقاطعة فريغان / مدينة بتاوي عاصمة الجزيرة /سرباية /باندوغ/ بنجرو /رنجاناصر/رنجاغور/ سنغافورا / أمكنة مهجرية تناسلت في الرواية تتحرك فيها الأحداث، تتشظى حينا، وتنشرخ حينا، وتتماهى حينا، لكنها تتضافر جميعا لإنجاح العلاقة بين نيغ، أو ايفة وعبدالله فيصبح التعدد المكاني المهجري أحد أعمدة الغواية التي يتكئ عليها الكاتب في رواية (فتاة قاروت)، فتشتغل هذه الأمكنة المتناسلة على ثنائية العلاقة بها في الوعي الفردي عند عبدالله وايفة، وفي الوعي الجمعي عند الشخوص الأخرى، والثقافة المجتمعية لتكثيف قوة الغواية بها باتجاه المكان الأم قاروت.

وإذا عدنا إلى رواية النوافذ سنجد الروائي بن سليم يلجأ إلى التقنية نفسها ليؤكد الغواية بالمكان الأم شبام، غير أنه لا يتعدد في الأمكنة كمدن، بل يستخدم الإيقونات الجغرافية للمكان ذاته، ويحرك فيها سارده وشخوصه متكئا على محمولات المكان التاريخية، جاعلًا من الاسترجاع الزمني، وما يتم به من متغيرات في جغرافيا المكان، وسيكيولوجية الناس، وتأثيرها على شكل المباني تعددًا يمارس من خلاله غوايته بالمكان؛ لأن الوقائع غير كافية لتغطية المكان التخييلي.

ISSN : 2410-1818

المدينة شبام / النافذة التي تطل منها فاطمة / دكان العم سعيد أو مشغله /مقهى العم صالح / سدة شبام / مكتب البريد / الباحة / مسجد شبام التاريخي / أزقة المدينة /بئر الجد /تربة جرب هيصم / منزل الجارة / الدرع الذي يتسلل منه ربيع /شوارع المدينة /ساحاتها.

إنّ عظمة المكان الأم تاريخيًا متمثلًا في تناسلات تفاصيله الجغرافية، وارتباطها بالزمن التاريخي للمدينة هي مصدر رئيس للغواية بها، غير أنّ المفارقة في أنّ السكان مسجونون في هذا التاريخ، تقود حياتهم عدد من العادات والتقاليد، فتقيد أبسط حرياتهم، ومع هذا يتلذذون بها، هذا الكلف بالمكان التاريخي لم يمنع الكاتب أن يصدم المتلقي ليقدم المكان المحلي بكل تناسلاته الجغرافية طاردًا، ينبت فيه الحب وينمو ثم ينتكس، ويتقهقر، ويفشل، فيصبح أصحابه جزءًا من الأيقونة التاريخية.

يتحرك الزمن من عام 1985 إلى ما بعد 2014 يغير في تفاصيل المدينة سلبًا وإيجابًا عبر أحداث سياسية، وثقافية، واجتماعية تؤثر في شفرة العلاقة بين الناس والمكان، لكنها لا تؤثر على الغواية به طالما أنّ التاريخ مازال يمنح المكان منزلة عالمية متجددة.

ثالثا: الغواية عبر السارد:

يستخدم السقاف في رواية قاروت -عبر سارده- وصف الطبيعة للمكان المهجري وما يمنحه من جمال وسحر مدخلًا آخر لتعزيز الغواية بالمكان، فمنذ البداية النصية للرواية يقول السارد: " إذا شبهنا هذه الجزيرة لما خصها الله به من الخصب، وما جعل فيها من جميل المناظر بعقد من الزمرد، (قاروت) هذه واسطة العقد، ودرته اليتيمة "(السقاف، 2017، ص4)، وقوله أيضًا "خصت الطبيعة تلك البقعة التي قامت عليها قاروت، وضواحيها بجمالها الساحر تتجول في شوارع المدينة فترى كل جميل "(المرجع السابق، ص6) أما قرية رنجاناصر منشأ حب ايفة وعبدالله فقد وصفها السارد بقوله: " في صباح ذلك اليوم خرج عبدالله من منزله في قرية رنجاناصر التي تبعد قليلا عن قاروت، ولطيب الهواء وعدم التأذي من حرارة الشمس رأى أن يواصل السير ماشيًا ليمتع نظره بما على حافتي الطريق من المناظر البديعة " (المرجع السابق، ص8)، هذه الطبيعة الساحرة للمدينة المهجرية، والعلامات التعبيرية التي تشير إلى ثقافة السارد، ومعتقداته، وقناعاته، واهتماماته، وقيمه، وموقفه من الناس، والأحداث، والأشياء (مانفريد، 2011، ص14) جسد بها السقاف الغواية بالمكان عبر سارده؛ ليرسم بها مهدًا لعلاقة حب ناجحة بين ايفة وعبدالله ذوي الأصلين العربيين، ومع أنّ هذه العلاقة تعرضت لانشراخات درامية وسط هذه الأمكنة، إلا أنها لم تؤثر على الغواية بالمكان المهجري؛ إذ ظلّ يحرك سارده في

ISSN : 2410-1818

أمكنة أخرى تارة، أو يعود به إلى الأمكنة نفسها، مانحا إياه ملكة الوصف رغبة في مشاركة المتلقي غوايته بالمكان، بوصف السرد "وسيلة جبارة في نسج وإعادة تكييف الأحداث الواقعية والمتخيلة في ثنايا النص الروائي وتمثيل المرجعيات الثقافية ".(إبراهيم، 2007، 89).

وفي (النوافذ الصفراء) يسند بن سليم إلى ساردة منذ البداية النّصية للرواية وصف مدينة شبام بوصفها مكانا ذا قداسة معمارية، وتاريخية، يبهر من يمر بها حيث يقول :" ففي كل مرة أمر بها أعرف أنّها اكبر من أن أفسر أو أتكهن بشأنها، وسوف أراهن أنّك ستشعر بهذا لو مررت من أمامها ". (بن سليم، 2017، ص8). ثم يعرج بساردة إلى وصف تفاصيل نافذة لبيت من بيوت شبام متباهيا بدقة حرفييها ومهارتهم التي مكنت المدينة من الدخول إلى بوابة التاريخ العالمي " تحدق فاطمة إلى المكان من تحتها من نافذتها الخشبية الجميلة العتيقة، المنحوتة يدويًّا في هذه المدينة على الطريقة الحضرمية الشبامية من خشب السدر بفتحتين صغيرتين مقوستين... كما لو أنّها أقواس أندلسية، وفوقها شريط من النقوش المصفوفة بانتظام " (المرجع السابق، ص9). والمساجد هي مكون آخر للمدينة، وترتبط بتاريخها يقول السارد: "يصدح المؤذنون بصوت الحق من مآذن مساجد شبام السبعة الباقية، ينادون لصلاة الجمعة، تتربع المساجد في طمأنينة وأبهة، بيضاء نقية تتكحل بلون أخشاب أبوابها ونوافذها الخشبية العتيقة المنقوشة " (المرجع السابق، ص34). فالدلالات التاريخية حاضرة في هذه الأمكنة الدينية المكملة لتاريخ المدينة شبام، وتمثل جزءًا من الغواية بالمكان "فالمجتمعات عن طريق السرود التاريخية والدينية تشكل صورة عن نفسها وعن تاريخها وقيمها " (إبراهيم، 2007، ص90). وتتجذر الغواية بالمكان الأم (شبام) عبر السارد باسترجاع زمن غابر في القدم، يصل إلى خمس مئة عام قبل الميلاد، عاشت معه العديد من حكايات الحب، تقاذفتها انشراخات، وتشظيات في المكان حتى وصلت إلى الحب الاستثنائي اليوم الذي تمثله فاطمة " لا أحد يعرف، ولم يحص كم قضية حب عاشت في هذه المدينة منذ أن بنيت قبل الميلاد بقرابة 500 عام... لكن الوضع الذي عاشت به فاطمة جعل من حبها استثنائيا " (بن سليم، 2017، ص91) تحولات المدينة عبر الزمن الحديث بشكل مشوّه، جعل السارد يمعن في الغواية بالمكان من خلال الحسرة على ما أصاب هذا المعلم التاريخي من انشراخات أثرت على سيكيولوجية ساكنيها " الليل ليس أرحم أوقات شبام أيضا، فبالرغم من أنها تنتصب من بعيد بوجه حي ومتلألئ، وتبدو نوافذها مضاءة، ومنظمة، وينبعث من أسفلها ضوء الإنارة الصفراء، وكأنها موضوعة فوق فحم متوهج، إلا أنّك عندما تقترب منها تشعرك بالغربة والوحشة، يخدرها سكون مخيف، والريح تتسكع مع أزقتها، والكثير من الأشياء من حولك موضوعة في غير أماكنها تنوح

ISSN : 2410-1818

بثقلها على تلك الربوة، وتربض بلا مبالاة واضحة " (المرجع السابق، ص142)، إنه سرد للتاريخ، ولكن على نحو إشكالي يركز على معوقات التاريخ (يُنظر: بن علي، 2000، ص10)، فالغواية بالمكان عبر السارد في هذه الرواية كأنما تستحضر ما خرج به مؤتمر بودابست 1962م للعناية، والاهتمام بالثقافات، والآداب الصغيرة، وتخفيف حدة المركزية؛ لأنّ عالمنا هو عالم من المشاركات، والثقافات المتقاطعة التي تمتلك علاقاتها ونزعاتها من الثراء الفتان. أو هو تحقيق لما يعنيه باختين بالحوارية التي تعني التعدد، والاختلاف المفضي إلى التلاؤم، والنظام، ونبذ الهيمنة، والقدرة على سماع الأصوات المختلفة في آن واحد من غير تشويش على شفرة الإرسال (يُنظر: بشرى صالح، 2001، ص83).

رابعًا: الغواية عبر الشخصيات:

الشخصيات الروائية في أي عمل سردي محرك أساسي لأحداث الرواية من خلال العلاقات فيما بينها سلبًا أو إيجابًا فتتباين، أو تتفق مواقفهم حول الأمكنة، والأزمنة، والقيم، والثقافات التي ترسمها الرواية لهم، ولا يمكن النظر إلى طبيعة المكان، أو غوايتهم به إلا بحدود وجهة نظر الشخوص؛ فالأماكن قد تتصارع من أجل الاستحواذ على الشخوص والأحداث فتحقق مستويات مختلفة من الغواية بها (يُنظر: كاصد، 2003، ص145).

شخصية عبدالله (الشخصية الرئيسية الأولى):

عبدالله هي الشخصية القادمة من الشرق العربي في رواية (فتاة قاروت)، وهو إيقونة الغواية بالمدينة المهجرية في الرواية، فبالإضافة إلى انبهاره بسحر المكان، وجماله الطبيعي كانت ولادة حبه لايفة في قرية رنجاناصر القريبة من مدينة قاروت عاملاً آخر للغواية؛ إذ هيأ لنفسه مسكنًا فيها يرعى به هذا الحب الذي تملكه. لقد رسم عبدالله في خياله صورة مثالية للفتاة التي يريد أن يتزوجها، فما إن صادف ايفة حتى تيقن بأنها هي ضالته المنشودة . " حتى رأى في ذلك اليوم نيغ أو ايفة اللطيفة، فمجرد نظره إليها أول نظرة بهت حتى رأى أنّ الصورة الخيالية المرسومة في ذهنه إنّما هي صورة تلك البنت، في تلك اللحظة عرف أنه وجد ضالته، وأدرك بغيته " (السقاف، 2017، ص24). في هذه القرية رنجاناصر مقر سكنه تولد حبه، وكلفه بايفة " إنني - يانيغ- لا أستطيع أن أذوق طعامًا، ولا أهنأ شرابًا، والتمتع برقاد حتى أراك يا حبيبة قلبي، أراك في غرفتي هذه " (المرجع السابق، ص27) . لم تعد غواية عبدالله بالمكان هنا لمجرد جمال الطبيعة فيه، أو لكونه ميراثًا من أبيه كما يصرح به في الرواية، إنما صارت ايفة، أو حبه المتولد هما مصدرا غوايته، فيتمسك بالمكان حتى يعثر على ايفة. "

ISSN : 2410-1818

رأى عبد الله أنّ أول عمل يجب أن يعمله ليطلع على أمر نيغ هو الخروج في تلك الساعة، وابتدأ البحث عن نيغ ". (المرجع السابق، ص28)، ومما يزيد من غواية عبدالله بالمكان رنجاناصر معرفته في رحلة بحثه عن ايفة بأنّها تسعى للوصول إليه في رنجاناصر في بيته لتنعم بحبه بعد معاناتها، وظروفها القاسية مع العائلة التي تعيش معها. قالت رصيدة لعبدالله " لا أطيل عليك هي في بيتك في رنجاناصر ... ذهبت مستجيرة بك من أهلها فهلا تجيرها ؟

عبدالله : لم أخرج من بيتي إلا لإغاثتها "(المرجع السابق، ص93) يركب عبدالله سيارته للعودة إلى رنجاناصر حيث محبوبته هناك، غير أنه لا يجدها في بيته، حيث طردها خادمه فيشعر بالصدمة. (يُنظر: المرجع السابق، ص122/121). وتتوالى الأحداث في تشظ، تتزوج فيها ايفة عبدالله غيابيًا، وهو في سنغافورا، بمباركة القاضي دون أن يعلم ذلك. وفي سنغافورا وصلته الأخبار أنّ حبيبته ايفة قد انتحرت بسبب رسالة خاطئة وصلتها من شانئ يريد التفريق بينهما فيغتم، ويقرر الرحيل من رنجاناصر، ويبيع بيته ليبني بثمنه مسجدًا، أو مدرسة لروح حبيبته ايفة، وهو أمر يجعل غواية المكان ترتفع إلى مستوى المقدس عند هذه الشخصية حين طلب من خادمه أن يبيع البيت، ويبني به وقفا لحبيبته ايفة، يقول الخادم ويسترون لايفة :" كان يبكي كالطفل، وقال: لم يبق له أمل في الحياة بعد نيغ، وسلّم لي مفاتيح البيت، وأوصاني أن أبيعه، وكل ما فيه، وأن أقيم بثمن ذلك مسجدًا، أو مدرسة، أجعله وقفًا، ليبدي ثوابه لنيغ ".(المرجع السابق، 155)، لكن حين يعلم وهو في سنغافورة بوجود حبيبته ايفة في بيته في رنجانصر، وأنّها لم تمت، وأنّها تنتظره هناك، يقفل عائداً، تحركه غوايته بالمكان الحبيب الذي عادت إليه الحياة بعودة ايفة (يُنظر: المرجع السابق، ص185، وما بعدها).

شخصية ايفة (الشخصية الرئيسية الثانية):

ايفة أو نيغ ذات الأصل العربي، القادمة من مكة، في رواية (فتاة قاروت)، لم تكن غوايتها بالمكان بسبب ترعرعها، أو نشأتها فيه، ولكن بسبب ذلك القادم من أصولها العربية، وتمكنه من قلبها، فرنجاناصر هو المكان الذي تهرب إليه من جبروت عائلتها التي أرادت بيع جسدها ببعض المال، والمكان الذي يقطن فيه حبيبها العربي. " رنجاناصر، ما أجمل هذه الطريق التي تؤدي إلى بيتك ياعبدالله ... إنك ستسر كثيرا بقدومي إليك " (المرجع السابق، ص109) غير أنّها لما وصلت إلى بيت عبدالله لم تجده، ولم يحسن خادمه استقبالها، بل طردها فأصيبت بصدمة، وقررت أن تنتظره خارجًا، لكن ثمّة رسالة خاطئة وصلتها لتفرق بينها وبين حبيبها فتقرر الانتحار على طريق القطار. هذا التشظي

ISSN : 2410-1818

غير المقصود في العلاقة بينهما، وإن قلّل من غواية المكان لايفة، إلا أنّه سيكون دافعًا قويًا لها في التمسك بالمكان ذاته، والعودة إليه، وانتظار حبيبها، بعد أن عرفت من خادمه في رحلة انتحارها بأنّ سيده عبدالله لم يكرهها، بل إنه كلف بحبها، وصار يبحث عنها في كل مكان.

" لماذا ياسترون تخاطر بروحك في إنقاذي وأنت البارح تطردني من بيت سيدك، فيرد عليها لأني بالأمس جاهل وأصبحت اليوم عالما ... ثم يخبرها سترون بكل ما جرى، فأبرقت أسرة وجهها... وقد عاد إليها أملها، وأيقنت الوصال حتى وصلا قرية رنجاناصر ".(المرجع السابق، 130/129).

قررت ايفة أن تنتظر حبيبها في منزله، سيّما وقد أبلغها القاضي بأنه عقد نكاحها على عبدالله غيابيًا بموجب رغبتها (يُنظر: المرجع السابق، ص153حتى 159)، وابتهجت بالمكان، وبكل تفاصيله، بعد أن تلقت رسالة بعودة عبدالله قريبًا، فأصبحت غواية المكان متمكنة منها فقد أصبح رمزًا لبداية الحب، واستمراره، واكتماله على الرغم من العديد من التشظيات في العلاقة بسبب رسائل مغلوطة بينها وبين حبيبها، لكنها كانت بمثابة تثبيت لتلك الغواية عندها، وعند حبيبها عبدالله.

لقد نجحت المدينة المهجرية في رواية (فتاة قاروت) في استمرار غوايتها بالشخصيتين الرئيسيتين في الرواية، وساعدت على نماء الحب بينهما، على الرغم من العديد من الانشراخات التي ساقها النص لإفشال ديمومة الحب، وإضعاف غواية المكان لهما. وأثبتت رواية (فتاة قاروت) أنّ الإنسان قادر على صنع سعادته، وحياته مهما كانت المعوقات، وأنّ المهجر ليس عائقًا أمام الحب أيّا كانت محمولاته الثقافية حتى وإن كانت مفارقة لعاداته، وسلوكياته وقيمه، وأثبتت أيضًا أنّ الغواية بالمكان مصدر نجاح، وليس مصدر فشل.

شخصية فاطمة (الشخصية الرئيسية الأولى):

تبدأ غواية المكان (مدينة شبام ذات البعد الضارب في التاريخ) عند فاطمة الشخصية الرئيسية الأولى في رواية (النوافذ الصفراء) من خلال تساؤلها حول العلاقة بين الجيل العظيم الذي بنى هذا المجد، والجيل الجديد من البناة تقول " هل من بنى كل هذا المجد منذ ما قبل الميلاد يشبهون هؤلاء ؟ هل في عروق هذا الجيل شيء من دماء أولئك القوم ؟ من جعلوا من الطين والقش صروحًا ومباني عملاقة " (بن سليم، 2017، ص10/9) وتتعمق غواية فاطمة بالمكان من خلال مادة الطين المقدسة تاريخيًا، والتي بنيت بها المدينة وأفضليته على الحجر بالإشارة إلى حادثة قابيل وهابيل " التراب أنبل من

ISSN : 2410-1818

الحجر، إنه يستر سوءات الإنسان حيًّا وميتًا.. وضع قابيل أخاه في التراب فستر فعلته" (المرجع السابق، ص11)، بل يسمو بها خيالها، وهي تسير بين تلك المباني، فتراها في عراقة مباني بريطانيا، وتفضلها على التسمية الغربية لشبام بأنها منهاتن الصحراء " والسير بين تلك البنايات يعطيك انطباعًا آخر. عندما قلت: إني أخال نفسي في عربة ملكية، كنت أيضا اختار المكان بريطانيا (لندن) ...مع أنّ مدينتنا يطلق عليها الغرب منهاتن الصحراء " (المرجع السابق، ص23). غواية تتماهى في علاقة ودّ بين فاطمة والمكان، والإنسان، ودلالات اللون الأصفر كإيقونة للمدينة في الذاكرة الجمعية. " شبام أمامنا نقترب، وتقترب إلينا، صفراء، مع ما تبقى من صفرة الشروق، كأنها قد لطخت خدودها، وسيقانها بالكركم، كما تفعل نساؤها " (المرجع السابق، ص28).

عظمة مدينة شبام بمراحلها المتشظية في التاريخ تكمن أيضًا في عظمة أجيالها المتعاقبة على التمسك بلحظات التنوير على مرّ التاريخ، وهذا رديف قوي لغواية فاطمة بالمكان " محظوظة أنت يا شبام، تقول فاطمة، لديك نفس طويل للانتظار تنتظرين.. تنتظرين حتى تأتيك حقبة جميلة تزغردين، وتتجددين بمجيئها، وعندما تنتهي تعاودين الانتظار مرة أخرى فتأتيك أخرى جميلة، التاريخ يشهد لك بذلك ".(المرجع السابق، ص29). تتمسك فاطمة بأن يكون حبها لربيع يثمر في المكان الذي شكل غواية لها بكل تفاصيله: المبنى والنافذة والشارع، ودكاكين الحرفيين، والمسجد، والساحات، والحقول، وعادات المجتمع بكل علاتها التي نسجت تاريخًا ضاربًا في القدم؛ تاريخ لا يمكن التنازل عنه بسهولة، حتى لو كان الأمر متعلقا بمستقبل حياتها، واستقرارها في بيت الزوجية. إنّ مجرد ابتعاد ربيع عنها إلى جغرافيا أخرى يشكل قلقًا لها، وطريقًا محفوفًا بالمخاطر لوأد الحب بينهما، ربيع سيلتحق بالعسكرية، سيغادر شبام إلى عوالم أخرى لا تشبه عوالمها التي نسجت تفاصيل حبهما، فتعترض بقوة على ذلك الرحيل "، منذ الغد سأذهب.. سألتحق بالعسكرية، ماذا؟!.. لماذا ستذهب يا إلهي، كم أكره فكرة أن لا أراك طويلا... تملكني الصمت، كان في داخلي الكثير من الكلام، لكنه بدا ثقيلًا على أن يرتفع من داخلي لأوصله إلى فمي، ثم علق الكثير منه في حنجرتي ... غدا ستذهب بعيدا، تذهب وتترك هذه المدينة مجرد أجسام طينية لا تعني شيئا، أردت أن تكون جنديا، أو لم تكن هنا أميري، وسلطاني، ورئيسي، ألم تقل لي أنت وطني، ولا أرغب في وطن آخر غير عينيك ... أنت الآن تغادر وطنك، وتترك وطنك غريبًا ... وطنك أضعف، وأفقر من دونك، فهل تضحي من أجله ".(المرجع السابق، ص108 -112). وحين تتدخل العادات، والتقاليد بمرارتها في إفشال زواج فاطمة من ربيع، ويعرض عليها حبيبها الهروب إلى جغرافيا الجبل لتتويج حبهما بالزواج بالأمر الواقع ترفض بشدة

ISSN : 2410-1818

حتى وإن كان ذلك الهروب مؤقتًا، يعودان بعده لاستكمال حياتهما في المكان نفسه، فتصفعه!، وتطلب منه الابتعاد عنها إلى الأبد. تضحي بحبها من أجل غوايتها بالمكان على الرغم من عاداته السيئة التي أفشلت مشروع زواجهم. تمسكها بالعادات جزء من تمسكها بالمكان، وغوايتها به . " وافقي وتعالي نهرب معًا سوف نهرب إلى الجبل ... سوف نتزوج زواجًا شرعيًّا ... ثم سيقتنعون مع الأيام، ونعود هنا أنا وأنت، ونكمل حياتنا " (المرجع السابق، ص148).

" وعندما واجهتني منتبهًا، هويت بيدي عليك وصفعتك صفعة مسموعة جدا ... أنا لست من مزاويجك، اذهب حيث شئت، عش حيثما شئت، طر في السماء، أغطس في البحر، اذهب للجبل أو حيثما تريد، لكن لوحدك منذ اللحظة، لا أريد أن أراك أبدًا " (المرجع السابق، ص151).

هكذا تغتال غواية فاطمة بالمكان أجمل وأحب أمنياتها، تغتال حبها الذي أرضعته من تفاصيل المكان، وعشقها له، تغتال مشروعها العائلي بالزواج من حبيبها ربيع، ليبقى مجرد ذكرى تسترجعها عبر نافذتها الصفراء التي شهدت تفاصيل الحكاية.

ربيع (الشخصية الرئيسية الثانية):

لم تكن غواية ربيع الشخصية الرئيسية الثانية في رواية (النوافذ الصفراء) بالمكان، وتفاصيله مثل غواية فاطمة، فلم يذكر كلفه بالمكان في أي موقع من الرواية، غير أنّ أماكن مثل نافذة بيت فاطمة، وباب حضيرتها والحقل الذي التقى فيه بفاطمة كانت تمثل مجمل غوايته بالمكان ليس لما بها من محمولات تاريخية أو ثقافية، وإنما بوصفها شواهد لمهاد حبه، فيرتادها بكلف وشغف؛ لأنها أيقونات الحب ونمائه. (يُنظر : تفاصيل العلاقة بين ربيع وفاطمة في مواضع متعددة من الرواية)، بل إنّ سعيه لترك المدينة على الرغم من وجود فاطمة فيها، أو حبه المجنون بها يدل على أنّ ثمة انشراخات قوية بينه وبين هذا المكان حتى وإن كان له دلالات تاريخية عالمية يعتز بها كل من يقطنه، تقول فاطمة على لسانها : " اااخ يا ربيع، كيف تتنكر لهذه المدينة؟ كيف تغنيك تلك المدن المراهقة الزجاجية عن كل هذا الحنان؟، عندما أردت أن تغادر قلت: إنّ هذه مدينة لا تصلح للعيش، قلت إنك لا تستطيع العيش في مدينة كل ما فيها هو مجرد بقايا تاريخ، بقايا تجارة، بقايا زراعة " (المرجع السابق، ص12).

وأخيرا نرى مستويات الغواية بالمكان عند ربيع في أضعف حلقاتها حين يستسلم لظلم العادات والتقاليد التي أفشلت زواجه من فاطمة، ولم يقاومها معلنًا الانسحاب من المكان بكل تفاصيله، أو

ISSN : 2410-1818

بالأصح الهروب إلى الجبال ظانًّا أنّ فاطمة ستستجيب له، وتترك غوايتها بالمكان الذي أفشل حبهما دون أن يرتقي لمستوى تفكير حبيبته، وعلاقتها بالمكان ليس بوصفه تفاصيل جغرافية، ولكن بوصفه محمولات تاريخية ثقافية تشكلت منذ أكثر من خمس مئة عام. لقد عاش ربيع مفارقًا لدلالات اسمه، فلم يكن ربيعًا لحبه ولا لمحبوبته، ولا ربيعًا للمكان الذي يعول عليه، وعلى جيله

الانتماء له وترميم انشراخاته عبر الزمن

فشلت المدينة المحلية على الرغم من محمولاتها التاريخية والثقافية المتجذرة في التاريخ لأكثر من خمس مئة عام ؛ فشلت في أن تجعل الغواية بالمكان مصدر نماء للحب بين فاطمة وربيع، وأن تجعله يتكلل بالنجاح، فلعبت الانشراخات في العلاقة بين الحبيبين دوراً مهما في فشل هذا الحب، فلم يستطع المكان بكل قوته الدلالية أن يرعى حبيبين، واكتفى بأن تكون الذكريات فقط هي الأيقونة الحاضرة عبر نافذة صفراء في المدينة، وكأنّ الذكرى هي العوالم التي يجب أن تعيش فيها مدينة التاريخ العظيم، وشاهد من شواهد فشل الجيل الجديد في صناعة المجد الذي سطره أجدادهم.

إنّ الغواية بوصفها بنية فنية داخل النص تتحكم في ردة فعل المسرود لهم داخل النص كما أوضح البحث سابقًا، هيمنت على الشخوص الرئيسية في الروايتين بوصفهم متلقين داخليين منتجة عبرهم دلالات متجاوزة المألوف في الحقول السردية، وهو ما تغياه، وبيَّنه البحث في قراءته للغواية عبر الشخوص الرئيسية في الروايتين..

ISSN : 2410-1818

خاتمة ونتائج:

حاول البحث من خلال هذه المقاربة البحثية التي ركزت على مستويات الغواية بالمكان المهجري، والمكان المحلي في السرد الحضرمي عبر روايتي (فتاة قاروت)، و(النوافذ الصفراء)، ليجعل من النّص الروائي صوتًا مسموعًا لدى القارئ بأذني عقله تمامًا، كما أنّه يرى أحداثها بعيني عقله أيضًا (مانفريد، 2011، ص13) ؛ لأنّ السرد في وظيفته التواصلية اتصال مرئي ومسموع بين النص والمتلقي يتقاطع، أو يتباين معه وفق منظومة التكوين الفكري له محققًا أيضا وظيفته الجمالية التي تجعل منه نصًّا موازيًا؛ لا نصًّا متطابقًا مع الحياة، مهما تشابهت أحداثه، وشخصياته مع واقع الحياة. كما حاول البحث أن يستجلي الغواية بالمكان في الروايتين قيد الدراسة، وما ينتج عنه من دلالات قد تصل إلى حد المفارقة عبر أربعة مسارات هي :

العنوان، السارد، التناسل المكاني، الشخوص الرئيسية، وتباينت مستويات الغواية في هذه المسارات بحسب تشابكات علاقاتها بالنص الروائي في منظومته السردية الكلية إذ برزت الغواية بالمكان بشكل أوضح في مسار الشخوص الرئيسية؛ لأن السرد بطبيعته يعرض الأحداث بوصفها وقائع تسببت فيها، أو جربتها الشخصيات الروائية (المرجع السابق، ص12).

ومن النتائج التي توصل إليها البحث في مقاربته هذه :

- أنّ المدينة المحلية طاردة للحياة، ومصدر للفشل في بناء علاقات الحب، والسلام على الرغم مما تمتلكه من قيمة تاريخية عالمية لكثرة ما يعتريها من انشراخات في المكان، والزمان، والمنظومة الثقافية في عاداتها، وتقاليدها التي تشكل سجنًا، واستلابًا لمعتنقيها المستسلمين لها كما في رواية (النوافذ الصفراء) لسالم بن سليم.

- أنّ المدينة المهجرية جاذبة للحياة، ومصدر نماء للحب والسلام لما تمتلكه من مقومات جمالية طبيعية ساحرة، وتقل فيها الانشراخات المكانية، والزمانية على الرغم من التصادم مع منظومة عاداتها وتقاليدها، غير أنها قادرة على خلق مناخ تصالحي معها كما في رواية (فتاة قاروت)، لأحمد عبدالله السقاف.

ISSN : 2410-1818

- الوصول إلى المقدس في المكان المحلي غير ممكن، فربيع الاسم الذي يشي بمحمولات دلالية إيجابية تدل على الانفتاح على الحياة يفشل في الوصول إلى فاطمة الاسم الذي يشي بمحمولات دلالية مقدسة في الذاكرة الجمعية المسلمة، كونه يتناص مع اسم بنت النبي محمد ﷺ.

- أما الوصول إلى المقدس في المكان المهجري ممكنًا ومتحققاً حيث يصل عبدالله الاسم الذي يشي بمحمولات دلالية إيجابية في الوعي الجمعي المسلم يصل إلى ايفة بمعنى الشريفة الذي يشي بمحمولات دلالية مقدسة بانتمائها في النسب إلى أهل البيت.

- الطبيعة الخلابة والساحرة في المدينة المهجرية أكثر قدرة على الغواية بالمكان من المدينة المحلية المشبعة بالمكانة التاريخية العالمية.

- إمكانية التصالح مع العادات والتقاليد المتباينة في المدينة المهجرية.

- الارتهان والاستلاب، والاستسلام للعادات، والتقاليد المتباينة في المدينة المحلية.

إنّ هذه المقاربة البحثية للروايتين لا تعني أنّ نتائجها تنطبق على كل الروايات الحضرمية، أو غير الحضرمية من حيث مستويات الغواية بالمكان للمكان المحلي، والمكان المهجري، ولكنها تفتح الباب للدراسات البحثية لمحاولة قراءة النص الروائي في حضرموت واليمن، أو خارج نطاقهما لاستنطاق الأمكنة المحلية والمهجرية في الأعمال السردية بشكل عام في علاقاتها المختلفة.

أخيرا يعتقد البحث بأنّه يقدم بهذه المقاربة البحثية مساهمة متواضعة في قراءة المنتج السردي الحضرمي ضمن عدد من القراءات النقدية التي سبقه إليها الباحثون.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

- إبراهيم، عبدالله. 2007م. الرواية العربية والأبنية السردية والدلالية. مؤسسة اليمامة. الرياض.
- السقاف، أحمد عبدالله. 2017م. فتاة قاروت رواية. ط1. منشورات نادي القصة. صنعاء.
- بن سليم، سالم. 2017م. النوافذ الصفراء رواية. ط1. مؤسسة فكرة للنشر والإعلام.
- الجزار، محمد فكري. 2006م. العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة.
- صالح، بشرى موسى. 2001م. نظرية التلقي أصول وتطبيقات. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
- بن علي، هشام علي. 2000م. السرد والتاريخ في كتابات زيد مطيع دماج. ط1. مركز عبادي للدراسات والنشر. صنعاء.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. 2005م. القاموس المحيط. ط8. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- القصراوي، مها. 2004م. الزمن في الرواية العربية. ط1. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت.
- كاصد، سليمان، 2003م. عالم النص دراسة بنيوية في الأساليب السردية. دار الكندي للنشر والتوزيع. الأردن.
- مانفريد، يان. ترجمة أماني أبو رحمة. 2011م. علم السرد مدخل إلى نظرية السرد. ط1. دار نينوى. دمشق.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. 1994م. لسان العرب. ط3. دار صادر. بيروت.